تواصلية الخطاب في قصتي (فتاة لا تعرف المحال) و (حياة وكريمة) لسماح أبو بكر عزت "مقاربة تداولية"

إعداد

نجيبة حامد إبراهيم محمد

مدرس الأدب والنقد - كلية الآداب جامعة جنوب الوادي بقنا

تواصلية الخطاب في قصتي (قنال لا تعرف المحال) و (حياة وكريمة) لسماح أبوبكر عزت
مقاربة تداولية

ملخص البحث:

حاول البحث إبراز تجليات المقاربة التداولية لعملين من أعمال الكاتبة سماح أبوبكر عزت، عرضت من خلالهما قضايا وطنية حدثت على أرض الواقع، هما قصة (قنال لا تعرف المحال) التي تحكي عن مشكلة السفينة الجانحة في قناة السويس، وقصة (حياة وكريمة) التي عرضت للمبادرة الرئاسية (حياة كريمة) بغية أن تبني في الطفل هويته المصرية، وتعزز انتماءه لوطنه عبر قالب قصصي مؤثر يغلفه أسلوب يتأرجح- أحيانا – بين الماضي والحاضر ويصبح مصدرا للمعرفة، محققا المتعة والفائدة معا، وقد فرضت طبيعة البحث التعرض إلى تداولية العنوان باعتباره فعلا تواصليا، ومفتاحا إجرائيا يتعامل المتلقي من خلاله مع النص، والإشاريات التداولية (الشخصية، والزمانية، والمكانية، والاجتماعية) التي تؤدي دورا حيويا في تحقيق فاعلية التواصل، كما عرض البحث العناصر السياقية التي يقوم عليها الخطاب (المرسل/ المخاطب، المرسل إليه/ المخاطب، الرسالة/ الخطاب، موضوع الرسالة) ثم الأفعال الكلامية التي عدت من دعائم الدراسة التداولية، والاستلزام الحواري باعتباره الركيزة الأولى لأي عملية تواصلية. وأخيرا اختتم البحث بمجموعة من النتائج التي توصل إليها.

الكلمات المفاتيح:

تواصل – الخطاب- التداولية – سماح أبوبكر عزت – قنال لا تعرف المحال- حياة وكريمة

Topic Continuity in Discourse in two stories "The Canal Does Not Know the Impossible" and "Hayat and Karima" by Samah Abu Bakr Ezzat: A Pragmatic Approach

Abstract:

The research attempted to highlight the manifestations of the deliberative approach to two stories by Samah Abu Bakr Ezzat, through which she presented some national issues that happened in real life: they are the story of (The Canal Does Not Know the Impossible), which tells about the problem of the giant ship stuck in the Suez Canal, and the story of (Hayat and Karima) which was presented to the initiative Presidency (a decent life) in order to help children to develop a sense of the Egyptian identity, and strengthen their belonging to their homeland through an influential story template that is enveloped by a style that oscillates - sometimes - between the past and the present and becomes a source of knowledge, achieving both pleasure and benefit. The nature of the research imposed dealing with the pragmatics of the title as a communicative act, and a procedural key through which the recipient deals with the text, and the deliberative signs (personal, temporal, spatial, and social) that play a vital role in achieving effective communication. The research also presented the contextual elements on which the discourse is based (the addresser, the addressee, the message, the context), then the speech acts that are considered one of the pillars of the deliberative study, and the conversational implicature as the first pillar of any communicative process. Finally, the research ended with a set of findings.

Keywords:

Topic Continuity - Discourse - Pragmatics - Samah Abu Bakr Ezzat – "The Canal Does Not Know the Impossible" – "Hayat and Karima"

مدخل:

يعد مصطلح الخطاب من المصطلحات المهمة في الدراسات المعاصرة؛ فهو المحتوى الفكري والمعرفي الذي يريد المرسل إيصاله إلى المستقبل، وبه يتجلى التواصل بينهما، وذلك من خلال اختيار الكلمات والألفاظ وصياغتها وتركيبها ومن ثم يستعين بها المتلقي لمعرفة الرسالة التي أرادها المرسل. فـ"لنفترض أن طفلا هو موضوع رسالة ما: فالمتكلم يختار من بين سلسلة من الأسماء الموجودة والمتفاوتة التماثل مثل: طفل وغلام وولد وصبي، ويختار المتكلم، بعد ذلك، من أجل التعليق على هذا الموضوع فعلا من الأفعال المتقاربة دلاليا: ينام، وينعس ويستريح ويغفو. وتتآلف الكلمتان المختارتان في السلسلة الكلامية. إن الاختيار ناتج على أساس قاعدة التماثل والمشابهة والمغايرة والترادف والتطابق، بينما يعتمد التأليف وبناء المتتالية على المجاورة"[١] لذلك يمكن القول بأن الخطاب هو الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاما تواصليا "يتكون من وحدة لغوية قوامها سلسلة من الجمل"[٢] تسهم في الكشف عن بنية النص.

أما التداولية فإنها تنظر إلى النص على أنه "بنية لغوية أنتجها متكلم أو مبدع معين، بقصدية معينة، وفي موقف كلامي محدد، وفي زمان ومكان محددين، ولمتلقٍ معين"[٣] لذلك فهى تختص بـــدراسة "علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفية استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي يُنجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة

١- قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة: الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص٣٣.

٢- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـــ، ٢٠٠٨م، ص٣٨.

٣- تداوليات الخطاب وضوابط الرواية والتلقي، محروس محمد إبراهيم علي، مجلة علوم اللغة، المجلد (١٠)، العدد (١)، ٢٠٠٧م، ص١٦٤، ١٦٥.

وناجحة، والبحث في أسباب الفشل"[١] أي دراسة "كل ماله علاقة باللغة، سواء أكان يعني بشكل الخطاب من لغة أو إيماء أم بدلائلها أم بالدلالة وعلاقتها بالأشياء والحسيات الخارجية أم بالعلامات والإشارات، واستنتاجات الكلام أم بالفهم الضمني دون الحديث، لتتم عملية التبليغ على أحسن وجه"[٢]. ولهذا فإن هناك علاقة قوية بين التواصل والتداولية، فهى "بناؤه المتين الذي يجب أن يؤسس بدعائم مهمة من خلال دراستها لعملية التأثير في المتلقي، فكلما كانت اللغة أكثر متانة وقوة وتماسكا جعلت المتلقي يقوم بعمل ما أو يبتعد عنه أو يرفض أو يحب أو يكره أو يتمنى إلى غير ذلك، هذا من جهة المتلقي، أما المتكلم فتمنحه معرفة أكبر بطرائق التأثير مما يؤدي به إلى التعديل في سلوكه أو تغييره وتطويره ليصبح ذا أثر جلي في المتلقي"[٣]

حول القصتين:

تتعرض سماح أبوبكر عزت[٤] في قصتيها إلى قضايا وطنية من خلال تطرقها لوقائع وأحداث تاريخية حدثت على أرض الواقع، ودونتها بوصفها أحداث مؤثرة تؤثر في

١- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، يوليو ٢٠٠٥م، ص٥.

٢- التداولية، سحالية عبدالحكيم، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، العدد الخامس، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص٩٠.

٣- سورة الأنعام دراسة تداولية لأفعال الكلام والاقتضاء التخاطبي، نور وليد عبد صالح، فضاءات، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص٤٢.

٤- كاتبة تخصصت في مجال الكتابة للأطفال، وقدمت عديدا من ورش الكتابة والحكي في مصر وخارج مصر، تجاوزت مؤلفاتها للأطفال أكثر من ٤٠ كتابا، ومن أعمالها: الدائرة الحائرة، وجه القمر، لؤلؤة في السماء التي تتناول موضوع التنمر وإدراجها بمكتبة الشباب بميونخ من أكبر مكتبات الطفل في العالم، وترجمت إلى اللغة الألمانية، حمادة صانع السعادة، سر البحر الأزرق، رسالة إلى صديقي عمر، ...إلخ.، تقدم برنامجا للأطفال بعنوان (احكى يا ماما سماح) على شاشة التليفزيون المصري. كما حصلت على عديد من الجوائز العربية والدولية منها: الجائزة الذهبية في مجال السيناريو من مهرجان الإبداع العربي عن مسلسل "علاء الدين وكنز جدو أمين"، جائزة المجلس الدولي لكتب اليافعين بسويسرا عام ٢٠٢٠ عن قصة "الدائرة الحائرة"، جائزة خليفة التربوية عن قصة "بستان العدالة"، جائزة معرض الكتاب عن قصة "قنال لا تعرف المحال"، وعضو لجنة جائزة الدولة التشجيعية لأدب الطفل واليافعين بدولة الكويت.

الطفل وتبني هويته، وتعزز انتماءه لوطنه. فقصة (قنال لا تعرف المحال) تحكي عن أزمة السفينة الجانحة في قناة السويس – أحداث الأيام الستة التي شغلت العالم – وبطولة المواطن المصري في مواجهة الأزمات، وكيف حقق نجاحا باهرا في تعويمها عبر مراحل مختلفة بحرفية وتقنية شديدة وثقتها الكاتبة من خلال المعلومات التي حصلت عليها من مصادرها الموثوقة عن طريق موظفي الهيئة والعمال، والمعاينة الفعلية التي قامت بها لتعطي القصة مصداقيتها، رابطة هذا كله بتاريخ القناة وما مرت به من أحداث وتحديات وبطولات مشابهة، مثل: رحيل المرشدين الأجانب عن قناة السويس عام ١٩٥٦، ونجاح المرشدين المصريين في القيام بمهامهم بكفاءة عبر نسيج درامي متسلسل يغلفه أسلوب سهل ومبسط، ساعد على متابعة الطفل للحكاية. وبذلك تكون القصة تتأرجح بين الماضي والحاضر، والأزمة والتفاؤل، فهى كرسالة منذ العنوان حددت هدفها في معالجة القضية التي تقدمها.

أما (قصة حياة وكريمة) حاولت من خلالها تسليط الضوء على المبادرة الرئاسية "حياة كريمة" وما أحدثته من تطوير في الريف المصري ومحافظات الصعيد، وتحديدا محافظة أسوان من خلال قصة الشابتين المصريتين حياة وكريمة بطلتى القصة التي تقيم إحداهما بالخارج والأخرى بمصر إشارة منها إلى دور وزارة الهجرة في مختلف دول العالم وأهمية مبادرة "اتكلم عربي" التي تنقل الإنجازات وتعزز الهوية المصرية من خلال التطبيق الذي قدمته بالتعاون مع نهضة مصر، كما تعرف أطفالنا على طبيعة الحياة في أسوان، وسمات أهلها الطيبين، عارضة ذلك في قالب قصصي شيق وحكاية مؤثرة امتزجت فيها عدة عناصر لتجسد ملامح الجمهورية الجديدة، وتوصل للطفل أن في مصر نهضة كبيرة في كل المجالات ومناحي الحياة. وبذلك أدركت سماح أبو بكر عزت أن باستطاعة "القصة المتقنة صناعة وأداء أن تكون مصدرا للمعرفة، ومحققة للمتعة، مسلية، وموجهة للأخلاق والسلوك، ومفجرة لقدرة التخيل وحافزة على التوقع وتسلسل الأحداث، وإضافة لمفردات جديدة، وتراكيب مبتكرة وأساليب متنوعة. هذا يعني أن القصة لا تنحصر في الحادثة أو الحكاية أو المغزى، إنها كل هذه العناصر، يضاف إليها الأسلوب أي:

الكلمات المفردة، والجمل المركبة، والعبارات المتتالية، ونظام الفقرات وما بينها من علاقات، وتنقلها ما بين مقاطع حوارية، ووصف للمشاهدات الظاهرة، والمشاعر الباطنة، وحريتها في الزمن ما بين رسم منظر حاضر، واستعادتها لمشهد تختزنه الذاكرة، وتوقعها لموقف يتوقع في الزمن الآتي أن يكون. هذه جوانب فنية، جمالية، أساسية في صناعة القصة، وإذا تخلفت فإن المعنى أو المغزى يكون فقيرا جدا من ناحية التأثير."[١]

وقد جاءت الدراسة متضمنة أربعة محاور، كالآتي:

المحور الأول: تداولية العنوان.

المحور الثاني: الإشاريات التداولية (الشخصية، والزمانية، والمكانية، والاجتماعية).

المحور الثالث: الأفعال الكلامية.

المحور الرابع: الاستلزام الحواري.

وأخيرا الخاتمة، وفيها عرض لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وفيما يلي عرض لهذه المحاور:

المحور الأول: تداولية العنوان:

أول المؤشرات التي تدخل المتلقي في حوار مع نفسه، فتثير فيه نوعا من الإغراء والفضول لمعرفة واستكشاف مدلولاته، فأهميته نابعة من كونه "مفتاحا إجرائيا في التعامل مع النص في بعديه الدلالي والرمزي"[٢] ودخول العنوان في إطار التداولية يشير إلى أن ندرسه بصفته فعلا تواصليا يتميز بعنصر الانقرائية أكثر من متن العمل الأدبي الأمر الذي يخلق نوعا من التأثير؛ لأنه من "مظاهر الإسناد والوصل والربط المنطقي، وبالتالي، فالنص إذا كان بأفكاره المبعثرة، مسندا، فإن العنوان، مسند إليه، فهو الموضوع العام، بينما الخطاب النصي، يشكل أجزاء العنوان، الذي

١- قصص الأطفال ومسرحهم، محمد حسن عبدالله، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٩.

٢- خطاب الكتابة وكتابة الخطاب في رواية (مجنون الأمل)، عبدالرحمن طنكول، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، العدد٩، ١٩٨٧م، ص١٣٥.

هو بمثابة فكرة عامة أو محورية، أو بمثابة نص كلي"[١]، وهو قبل كل شيء "دور مركزي في بناء النص الإبداعي نفسه. بل أصبح جزءا من المبنى الاستراتيجي للنص. وربما راح ينازع متن النص الذي يمثله في حث القارئ على تأويل فحوى العمل واكتشاف دلالاته وتفسيره"[٢] وقد حرصت الكاتبة سماح أبوبكر عزت من خلال عنوان قصتيها (قنال لا تعرف المحال، وحياة وكريمة) أن تحملهما رسالة ذات مقصد تداولي قائمة على صورة الجملة الاسمية في (قنال لا تعرف المحال) الذي ينتظم في أربع علامات جاءت وفق نسق معين: كلمة (قنال) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذه/ هى) ولعل اختيارها لهذه المفردة* في بداية العنوان جاء للدلالة على حدث مرتبط بهذا المكان، ثم جاء الجزء الثاني مكونا من ثلاث علامات لغوية بدأتها الكاتبة بأداة النفي (لا) تلاها الفعل (تعرف) بصيغة المضارع، ليمثل امتدادا زمنيا ودلالة استمرارية متواصلة على أن القناة لا تعرف (المحال) وهى العلامة الرابعة التي جاءت ملتصقة بباقي العلامات، وتكون بهذا الوصف قد كشفت الغموض الواقع في البداية، وبذلك يحيل العنوان على المكان والزمان والتاريخ. والجملة الاسمية المعطوفة في حياة وكريمة (اسم معرفة + حرف عطف + اسم معرفة معطوف)، وبتوسط حرف العطف يكون قد جمعت بين الطفلتين حياة وكريمة، وهذا ما حدث

١- السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد ٢٥، عدد ٣، يناير، مارس، ١٩٩٧م، ص٩٧..

٢- سلطة العنوان في قصيدة (الخيط المشدود في شجرة السرو) لنازك الملائكة، ثائر حسن جاسم العنزي، الباحث الإعلامي، العدد ٢٤- ٢٥، ٢٠١٤م، ص٣٢.

* وفقت الكاتبة في اختيار كلمة (قنال Canal) بدلا من كلمة (قناة Channel)؛ وقد أوجز كثير من اللغويين – فيما تيسر لي قراءته – الفرق بينهما في أن: القنال: ممر مائي صناعي، والقناة: ممر مائي طبيعي. للمزيد انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، المجلد الثالث، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص١٨٦٥، ١٨٦٦، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ف. عبدالرحيم، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، ص١٦٦، "Canal", Oxford English Dictionary, 16 Nov 2022, Oxford Learner's Dictionaries, http://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/canal?q=canal

داخل القصة، وبالنظر إلى المرجعية الإشارية للضمائر التي يحتويها العنوان في القصتين نلاحظ أنه بني على ضمير الغائب في قولها (تعرف، حياة، كريمة) وهو عنصر إشاري من بدائل ضمير الغائب (هى) وما دل على تلك المرجعية في السياق ارتباطه بلفظة (قنال)، وكأن الكاتبة جعلت من العنوان بيانا وإعلانا تؤكد من خلاله على المكانة والقوة والطبيعة المتمردة التي تتمتع بها قناة السويس منذ القدم، فنفت من خلاله أنها تعرف المستحيل، وهذا ما حملته الصورة البيانية البلاغية التي بني عليها العنوان (قنال لا تعرف المحال) صورة استعارية تشخيصية تكمن قيمتها الدلالية في أن الكاتبة جعلت منها مشيرا إلى المعنى المقصود داخل المتن، ولتقدم من خلالها حقيقة واقعية عاشها العالم تجعل المتلقي يلجأ إلى التأمل وتنتقل به عبر التاريخ لتثبت في عقله تلك الأحداث التي مرت بها القناة، وفي ذلك دلالة قصدية من قبل الكاتبة في قوة القناة وعمالها وإيمانها المطلق في الانتصار وتخطي الأزمة بسلام، وقد أوضح ذلك التزام الكاتبة مبدأ الاقتصاد – من أهم مبادئ أسلوب أدب الأطفال – "الذي يتمثل في تقديم الأفكار بصيغ أدبية لا ترهق الطفل ولا تكلفه جهودا كبيرة، عن طريق استخدام كلمات وتعابير واضحة"[١] وقوة الكلمات التي اخترتها.

وفي العنوان الثاني نراها تحمله قضية مهمة تعيشها الدولة ونلمح أثرها من حولنا، ومن خلال دراسة البنية السياقية التي يتحرك فيها العنوان نجده يتطرق إلى تلك المبادرة (حياة كريمة) عبر رؤية واقعية تتوجه بها إلى الأطفال لتعريفهم بهذه المبادرة وما المقصود منها؟ عارضة لها صورة حية على أرض محافظة أسوان. وبهذا تتأكد حقيقة مفادها شعور الكاتبة بمسئوليتها تجاه وطنها من ناحية، ونقل هذا الشعور إلى الطفل من ناحية أخرى.

وبالنظر إلى عنواني القصتين يتضح أنهما فعل كلامي، نوعه إخباري تمثلت دلالته في:

١- أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه)، هادي نعمان الهيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٠١.

أ- قوة إخبارية مباشرة: وتمثلت في قناة السويس، واسم حياة وكريمة العائد على الطفلتين.

ب-قوة إخبارية غير مباشرة: تتمثل في الإعلان عن عدم معرفة القناة المستحيل، ومبادرة الدولة (حياة كريمة).

كما أنهما يقدمان حدا من الإشارات المكانية:[١]

- مباشرة: بالإشارة إلى مكان بعينه فيوجه المتلقي إلى الاحتفاظ بهذه الإشارة التي ينبني عليها أو تنطلق منها الأحداث كما في (قنال لا تعرف المحال).
- غير مباشرة: بإشارة العنوان إلى حدث أو شخصية قرينة المكان كما في (حياة وكريمة).

المحور الثاني: الإشاريات التداولية:

عنصر مهم من عناصر التداولية، يتحدد مرجعها من خلال السياق الخطابي، و"لا يقف دورها في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوز إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهى الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة، عند التلفظ به، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في استراتيجية الخطاب، وذلك؛ لأن التلفظ يحدث من ذات بسمات معينة، وفي مكان وزمن معينين، هما مكان التلفظ ولحظته، إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هى: (الأنا، الهنا، الآن)."[٢] كما أنها "تلعب دورا حيويا في تحقيق فاعلية التواصل، وهى فاعلية مرتبطة بدورها في الإحالة إلى موضوعات ذات مرجعية معلومة بالنسبة لأطراف التواصل. والمرجعية كما هو معلوم، تمثل عصب الخطاب والضامن لحسن تبليغه"[٣] ومن خلال الخطاب التواصلي في القصتين يتضح أن الكاتبة تضمنهما مجموعة من القرائن

١- انظر: استراتيجية المكان، دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، مصطفى الضبع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٨م، ص٥٧.

٢- استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص٨١.

٣- التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ١٤٣٧هـ، ص٧٧، ٧٨.

السياقية تحيل إلى الإشاريات الشخصية، والإشاريات الزمانية، والإشاريات المكانية، والإشاريات الاجتماعية التي ترتسم فيه فضاء الخطاب. وهى كالآتي:

١- الإشاريات الشخصية:

عرفت الإشاريات الشخصية بأنها "الإشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب. فالذات المتلفظة، تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه. وهذه الذات هى محور التلفظ في الخطاب تداوليا؛ لأن الأنا، قد تحيل على المتلفظ الإنسان، أو المعلم، أو الأب، وهكذا..."[١] ، ومن ثم تلعب الضمائر "دور تحويل العلامات اللغوية من مجال اللغة إلى مجال الخطاب"[٢]، ويبدو أن هذه الإشاريات من أبرز العناصر الإشارية التي ظهرت في القصتين، فهما تحفلان بعنصر الذاتية، فالكاتبة جعلت معظم الحديث والحكاية تنطلق من ذات صغيرة لتقوم بعملية التوصيل إلى من هم في سنها.

ضمائر الحاضر:

وتتمثل في ضمير المتكلم والمخاطب سواء كان مفردا أو مثنى أو جمعا، ولعل السبب في تسميتها هو وجود صاحبها وقت الكلام "والحضور قد يكون حضور تكلم كأنا ونحن وقد يكون حضور خطاب كأنت وفروعها"[٣] وقد كان الحضور في القصتين فعليا، أى أن المتكلم والمخاطب حاضران في سياق الحكاية أو الموقف، ومن ثم يمكن القول أن ضمائر الحاضر من العناصر الإشارية التي تلعب دورا كبيرا في القصتين لتحقق الهدف من إيصال الرسالة المنشودة داخل السياق التداولي الذي تستخدم فيه، والذي يعمل بدوره على معرفة مرجعية كل واحد منها، ونظرا لأهمية الضمائر الشخصية في بناء النص فقد عدت من وسائل التعبير المساعدة في تكوينه.

١- استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، ص٨٢.

٢- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ٢٠١٣م، ص٣٢.

٣- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، طبعة ١٩٩٤م.ص١٠٨.

كما أن "المتكلم يستعمل علامات ليحيل على نفسه كما يستعمل علامات ليحيل على غيره، فـــ (أنا) لا تمثل المتكلم المنجز للقول بل هى عبارة تحيل عليه لا تختلف في ذلك عن ضمير الغائب (هو) وكلاهما عنصر نحوي مهيأ للقيام بهذه الوظيفة التخاطبية قبل وجود القائل الواقعي"[١] وبذلك يتضح مدى الأهمية الكبيرة للضمائر في تحقيق تماسك النص – من الناحية الشكلية والدلالية- واتساقه وربط أجزائه[٢]، ولهذا كله أصبحت "مكونا لا محيد عنه لإضفاء بعد تداولي على استعمال اللغة، وهو بعد يثبت أن الضمائر قد تتحول إلى وحدات معجمية لا معنى لها إذا عزلت عن مرجعيتها الإحالية"[٣].

أ- ضمائر المتكلم:

نلاحظ أن الكاتبة استعملت ضمائر المتكلم بصورة واضحة، وهى "إحالة عنصر إشاري لغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي؛ كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم. ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، في تفاصيله أو مجملا إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه"[٤] ومن النماذج التي وردت في قصة (قنال لا تعرف المحال) نجد أن الكاتبة قد بدأتها بضمير متصل، وهو (ياء المتكلم) على لسان الطفل/ البطل منصور حينما أراد أن يعرفنا على نفسه وعائلته قائلا "اسمي منصور، والدي قبطان ماهر، صديقي الكبير جدي منير"[٥] ونراها تستعمل ضمير (نا المتكلمين) مع (ياء المتكلم) للدلالة على

١- من إشكاليات العلاقة بين النحو والتداولية، نرجس باديس، حوليات الجامعة التونسية، ع٥٩، ٢٠١٤م، ص٧٤.

٢- انظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص١٨.

٣- التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص٨٠.

٤- نسيج النص بحث في ما يكون الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص١١٩.

٥- قنال لا تعرف المحال، ص٥.

الانتظار ومعرفة الأخبار عقب جنوح السفينة في القناة "انتظرنا عودة أبي بفارغ الصبر ليخبرنا بآخر تطورات السفينة، عاد أبي لدقائق ليطمئن علينا وليخبر جدي أن محاولات سحب السفينة وشدها لم تنجح للأسف"[١] فالكاتبة أرادت أن توقع في نفس المتلقي إثارة الانتباه والتشويق لمعرفة الأخبار. وفي موضع آخر: "ودعنا أبي قائلا في إصرار: لن أعود قبل أن نجد حلا مع رفاقنا مهندسي الهيئة لتعويم السفينة"[٢] فـ(نا الفاعلين) تحيلنا إلى ملمح ترابطي بين المهندسين وتصميمهم على عدم العودة من القناة قبل أن يجدوا حلا للمشكلة.

"دمت منيرا في حياتنا وقلوبنا بكل التقدير والإعزاز"[٣] فالضمير (نا) يحيل إلى عنصر إشاري داخل القصة دل على حضور المخاطب في سياق الكلام، إذ يتحدث عن شخصية الجد، ولعل هذه الإحالات ساهمت في تحقيق ترابط القصة. وما يلاحظ أن الكاتبة حرصت في الأمثلة السابقة على استخدام ضمير جمع المتكلمين بصورته المتصلة؛ لتشارك جمهور المتلقين / الأطفال في التطلع إلى معرفة ما يحدث، ومن ثم تؤكد على أنهم جزء من هذه المشاهد، وبذلك ساعد هذا الضمير – إلى حد كبير – في نجاح عملية التواصل والتأثير والإقناع، بعد أن أضفى قدرا من مصداقية الحديث من قبل المرسل/ الكاتبة على قصتها وطبيعي أن تنتقل هذه المصداقية إلى المرسل إليه/ الطفل.

والتعبير (بياء المتكلم) حاضر بصورة قوية في قصة (قنال لا تعرف المحال)؛ ربما لاهتمام الكاتبة بنقل الحدث ومشاعر الذات المتكلمة إلى الطفل من ناحية، ولعلمها بخصائص لغة الطفل التي توصل إليها الباحثون في مجال اللغة والتي كان من أهمها التمركز حول الذات[٤] من ناحية أخرى، تقول على لسان عم عربي صديق الجد:

١- قنال لا تعرف المحال ، ص١٥.

٢- السابق، نفس الصفحة.

٣- السابق، ص٣٧.

٤- انظر: شعر الأطفال التاريخ والفن، إيهاب عبدالسلام، دار الفاروق، الطبعة الأولى، الجيزة، ٢٠٠٨م، ص ٢٥٤: ٢٥٧.

"ليتني معهم لكني أثق بعمال هيئة قناة السويس الأكفاء معظمهم عمل معي بكل جد وتفان"[١] فضمير المتكلم (الياء) دلت على حضور عم عربي في السياق التواصلي بوصفه مرسلا وذاتا حاضرة على مستوى التلفظ والتواصل.

وفي قصة (حياة وكريمة) استخدمت الكاتبة ضمير المتكلم المفرد (أنا) في قولها: "أجابت حياة بالإنجليزية: أنا لا أتحدث العربية"[٢] "ثم هتفت في دهشة: حياة .. اسمي أنا! وتساءلت بحيرة : كريمة؟؟ ماذا تعني؟! إنه اسمي أنا كريمة .."[٣] فجاء استعماله مرة للدلالة على وصف الحال، أي أرادت أن توصل إلى المتلقي عدم معرفتها التحدث باللغة العربية، وتارة متسما بالحيرة عقب ترجمة الطفلة حياة للحروف المكتوبة على اللافتة باللغة العربية (ح ي ا ة ك ر ي م ة). ومنه أيضا "ضحك قائلا: أنا أعرفها من قبلك؛ كنا نجلس متجاورين طوال رحلة العودة. بلهفة سألته حياة: ألم تجد هاتفي؟"[٤] فقد ورد ضمير المتكلم المفرد (أنا) حاملا معنى التكلم الذي يحيل على كامل، و(نا المتكلمين) الذي يحيل على كامل وحياة أثناء جلوسهما متجاورين على متن الطائرة.

ب- ضمير المخاطب:

استعملت سماح أبو بكر عزت الضمير (التاء، الكاف، ياء المخاطبة) لتحقق من خلاله العملية التواصلية ففي (قصة قنال لا تعرف المحال) في قول منصور: "هديتك لي يا جدي وأذهب معك للاحتفال"[٥] فالضمير هنا بمثابة عنصر إشاري يحيل إلى بدلة القبطان التي أهداها الجد لحفيده في يوم عيد المرشد ليرتديها ويذهب معه للاحتفال.

١- قنال لا تعرف المحال، ص٢٧.

٢- السابق، ص١١.

٣- حياة وكريمة، ص٩، ١١.

٤- السابق، ص١٢.

٥- قنال لا تعرف المحال، ص٢٣.

ومنه الكاف – أيضا – فيما جاء على لسان الجد مخاطبا ابنه: "وأنتظر اتصالك بالأخبار السارة"[١]، كذلك قول الجد: "إياكم واليأس .. ستنجون بإذن الله"[٢] عنصر إشاري أيضا إلى ابنه. كذلك: "احتضنت جدي في فرح قائلا: أعدك يا جدي أن أواصل مسيرتك ومسيرة أبي.. سأكون بإذن الله قبطانا ماهرا كأبي، منصورا بفضل دعواتك ودعمك"[٣] فالكاف ساهمت في عملية التخاطب وانسجام الخطاب ووجود أطراف التواصل.

كما ورد ذكره في قصة حياة وكريمة تقول الكاتبة: "اقتربت منها كريمة قائلة لها: هل يمكنني أن أساعدك؟"[٤] نرى ضمير المخاطب (الكاف) إحالة إلى الطفلة حياة، وفي موضع آخر "التفتت حياة حولها قائلة: جمل! هل سيوصلك لمنزلك؟!"[٥] استعملت الكاتبة (الكاف) أيضا استعمالا أحال إلى الطفلة كريمة. ومنه أيضا: "احتضنت كريمة حياة قائلة لها: لا تخافي يا حياة، ستأتين معنا لمنزلنا في كوم أمبو، وقال كامل بحماس: أعدك أن نبحث في كل فنادق أسوان عن اسمك في قائمة الحجوزات حتى تعثري على أصدقائك"[٦] فالكاتبة لجأت إلى استعمال عدد من ضمائر الخطاب تمثلت في (ياء المخاطبة، نا المتكلمين، كاف الخطاب) وجميعها ساعد في الربط بين الكلام أثناء التلفظ، ومن ثم وضوح العملية التواصلية بين الأطراف الثلاثة (حياة، كريمة، كامل).

١- قنال لا تعرف المحال، ص٢٧.

٢- السابق، ص٢٩.

٣- السابق، ص٣٧.

٤- حياة وكريمة، ص١١.

٥- السابق، ص١٢.

٦- السابق، ص١٤.

- ضمير الغائب:

ضمائر الغائب تدخل في الإشاريات إذا لم يعرف مرجعها من السياق اللغوي وعندئذ يتكفل السياق التداولي بمعرفة إشارة هذه الضمائر إلى مرجعها[١] ومن ثم تدرك معانيها من خلال الخطاب القصصي، يتجلى ذلك في قصة (قنال لا تعرف المحال): "كل تلك الأشياء نقلها لأبي، الذي كان يستشيره دائما في أي أمر يحيره. بعد عودته من كل رحلة في مياه القناة يحكي له عن المشاكل التي واجهته وكيف أن نصائح جدي أرشدته ونفذها بكل دقة وإتقان حتى وصل بالسفينة إلى بر الأمان"[٢]، وأيضا في قول منصور "خرج أبي كعادته، مرت الساعات ولم يعد في موعده وأخيرا اتصل بجدي يخبره بمشكلة السفينة"[٣]، فقد ساهم العنصر الإشاري (الهاء) الذي يشير إلى المفرد الغائب، وهو ضمير متصل في ربط الجمل ببعضها بعضا، وساعد المتلقي في ربط ومتابعة الأحداث، وعمل على "مد جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في النص".[٤]

"السفينة إيفرجيفن طولها يساوي طول أربعة ملاعب كرة قدم! ولأن طولها أكبر من عرض القناة، غرست في الرمال وأصبحت مقدمتها على شاطئ القناة ونهايتها على الشاطئ المقابل. وتلك هى الكارثة"[٥] فورود الضمير الغائب (هى) بعد ذكر المشار إليه وهو السفينة إيفرجيفن لعله يوفر نوعا من التركيز لدى الطفل، فبذكره يجعل الطفل يرجع إلى السرد ويسترجع المقصود منه، ومن ثم يتصور الحالة المراد وصولها إليه.

١- انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص١٨.

٢- قنال لا تعرف المحال، ص٨.

٣- السابق، ص١١.

٤- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، ص٨٣.

٥- قنال لا تعرف المحال، ص١٣.

"عم عربي هو سائق الكراكة الماهر"[١] أسندت الكاتبة الكلام إلى الضمير الغائب المنفصل (هو) الذي أحالت به إلى ذات الاسم (عربي)، ولعل في ذكره مباشرة بعد الاسم أن الكاتبة تدرك تماما أنها تخاطب فئة الأطفال الذين تتميز مفرداتهم اللغوية بالتكرار والترديد، فاللفظ المكرر هو "المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان"[٢]. وتشير في موضع آخر إلى نفس الشخصية فتقول على لسان الطفل منصور: "وصلنا عند شاطئ القناة وهو يغني بصوته العذب على أنغام السمسمية"[٣] فأشارت إليه مرة بذكر الضمير المنفصل، وأخرى بذكر الضمير المتصل(الهاء) الذي جاء إشارة دلالية على جمال صوته.

" تعددت لقاءات جدي وعم عربي، بالطبع كانت مشكلة السفينة هى محور الحديث بينهما"[٤] فالإشارة هنا بضمير الغائب (هى) إنما هو نوع من الاختصار لما ورد ذكره سابقا بخصوص مشكلة السفينة، حتى لا يصاب المتلقي / الطفل بالضيق والضجر.

وفي قصة (حياة وكريمة): تقول الكاتبة: "التف حوله الأقارب والجيران وهم يوزعون التمور والكركديه على المارة في مشهد أثار دهشة حياة"[٥] ورد هنا ذكر الضمير المتصل (الهاء) الذي يعود على كامل بعد عودته من نيويورك، والضمير المنفصل (هم) العائد على الأقارب والجيران، في صورة وصفية لكيفية الاستقبال، ومعروف أن الوصف من أشد الخطابات حضورا في حياة الأطفال.

ومنه أيضا: "وها هو يراها ويلمس نجاحها على أرض الواقع"[٦]، كذلك: "طافت حياة مع كريمة وهى توزع الأكلمة والشيلان التي تغزلها والدتها بإتقان على المحلات

١- قنال لا تعرف المحال ، ص١٩.

٢- التكرير بين المثير والتأثير، عزالدين على السيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، ص١٣٦.

٣- قنال لا تعرف المحال، ص٣٥.

٤- السابق، ص٢٠.

٥- حياة وكريمة، ص١٧.

٦- السابق، ص١٩.

التي تبيعها بدورها للسياح"[١] تضمن هذان المثالان مجموعة من الضمائر المنفصلة والمتصلة والمستترة التي تتعلق بالمذكر المفرد تارة، والمؤنث المفرد تارة أخرى، وجميعها استعملتها سماح أبوبكر عزت استعمالا إشاريا للتعبير عن (مبادرة حياة كريمة). وبذلك تكون الإشاريات الشخصية قد لعبت دورا بارزا في القصتين، وساعدت في إضاءة جوانب عدة لبنيتيهما مما كان له تأثير إيجابي على المتلقي / الطفل "فالمتكلم الفرد يعمد إلى اللغة، وهى الملك المشاع، فيقتطع منها ما يحتاج إليه للتعبير عن حاجاته، وبمجرد حدوث التلفظ يصبح ذلك كلاما ملكا له؛ فتنحسر الأبعاد الجماعية في اللغة كي تحل محلها الأبعاد الفردية المقترنة بالآن وهنا والأنا والأنت .. وقرائنها هى العناصر الإشارية، وهذه القرائن شرط في فهم الملفوظ وإعطائه معنى لأنها تربطه بالمقام"[٢]

٢- الإشاريات الزمانية:

ويقصد بها استخدام الألفاظ التي تدل على الزمن بواسطة السياق الذي وردت فيه، أي أنها "الملفوظات التي تدل على زمان يحدده السياق وذلك بالقياس إلى زمان التلفظ الذي هو مركز الإشارة الزمانية في القول، وتكمن قيمة التداولية أنه بدون تحديد زمن التكلم يلتبس الأمر على المتلقي ويصعب عليه الفهم ... فقد يشير إلى الزمان الكوني الذي يشمل السنين والأشهر والأيام، أو يشير إلى الزمن النحوي الذي يتحدد معناه من الكلمة في حالتها التركيبية"[٣] وقد استعملت سماح أبوبكر عزت في قصتيها صيغا إشارية زمانية متعددة.

تقول في قصة (قنال لا تعرف المحال): "مرت الساعات ولم يعد في موعده وأخيرا اتصل بجدي يخبره بمشكلة السفينة إيفرجيفن"[٤]، "عاد أبي لدقائق ليطمئن علينا وليخبر

١- السابق، ص٢٣.

٢- نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، ص١١٦، ١١٧.

٣- تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، حمادي مصطفى، مجلة الأثر، العدد ٢٦، سبتمبر ٢٠١٦م، ص٦٦.

٤- قنال لا تعرف المحال، ص١١.

جدي أن محاولات سحب السفينة وشدها لم تنجح للأسف "[١]، فلفظة (الساعات، لدقائق) تعد ملمحا إشاريا قصدت الكاتبة من خلاله الزمن الضيق، وهو بيان الفترة الزمنية التي تأخر فيها والد منصور عن موعده المحدد مع جده، ثم عودة الأب ماهر لدقائق قليلة ليطمئن على والده وابنه منصور.

"مرت ثلاثة أيام ولا تزال أخبار السفينة تتصدر كل نشرات الأخبار في العالم بقلق وترقب "[٢] "مرت خمسة أيام لم يغادر أبي موقع الأحداث"[٣]، "خمسة أيام والعالم يتابع أخبار السفينة"[٤] الملمح الإشاري للفظة (ثلاثة، خمسة) قبل كلمة أيام تحيل من خلال السياق الكلامي على عدد الأيام الفعلية التي عاشها العالم منتظرا أي أخبار من قبل عمال الهيئة تعلن بحل المشكلة. أما في هذا المثال "جاء صوت أبي في نهاية اليوم قائلا في إرهاق شديد: أثناء عملية التكريك اصطدمت الكراكات بالصخور الصلبة"[٥] فقد ذكرت الكاتبة قبل لفظ (اليوم) لفظ (نهاية) وتكون بذلك حددت الوقت الزمني الذي اتصل فيه ماهر بوالده، وهو صيغة إشارية ساعدت في عملية التواصل وإدراك المتلقي زمن التكلم والاندماج معه.

"ليل نهار كان مع قيادات الهيئة وزملائه يدرسون كل الحلول الممكنة لتعويم السفينة العملاقة"[٦] استعملت الكاتبة ملمحا إشاريا دل على الزمن، تجلى في الثنائية الضدية (ليل نهار) التي أضافت من خلالها بعدا تداوليا ساعد في توضيح وبيان المهمة الصعبة التي تصدى لها والد منصور وزملائه.

١- قنال لا تعرف المحال، ص١٥.

٢- السابق، ص ١٦.

٣- السابق، ص٢٥.

٤- السابق، ص٣١.

٥- السابق، ص ٢٨، ٢٩.

٦- السابق، ص٢٥.

"في الصباح الباكر جاء صوت أبي بفرح وقلق"[١] جاء استعمال الظرف المتمثل في لفظة (الصباح) – والذي حدده السياق ووصفه بلفظة (الباكر)– بوصفه إشارة زمنية دلت على لحظة التكلم به، أى اتصال ماهر بوالده ليخبره بما حدث من محاولات لتعويم السفينة.

"أشرقت شمس يوم ٢٩ مارس وتعالت صيحات الانتصار وهتافات الفرح"[٢] دل على زمن معين تجلت دلالته التداولية على اللحظة الزمنية التي فرح فيها العالم بحل مشكلة السفينة، أي إشارة زمنية حددت موعدا وتاريخا بعينه.

"مرت على القناة أحداث كثيرة توقفت على أثرها الملاحة لشهور وأحيانا لسنوات وعادت الملاحة للقناة من جديد واستقبلت مياهها سفنا من كل أنحاء العالم"[٣] ملمح إشاري دل على زمن كوني (شهور – سنوات) يشير إلى زمن مضى وانقضى بالنسبة للحظة التكلم، فالإشارة الزمنية هنا تؤرخ لأحداث ماضية مرت بها القناة.

كما ارتبطت الإشاريات الزمنية في هذه القصة بأحداث تاريخية، وانطلاقا من علاقة المتكلم بالزمن فإن "الزمن التاريخي يمثل الإنسان جزءا لا يتجزأ من البيئة التي ينتمي إليها. ويعود هذا الزمن إلى تاريخ معين باعتماده مرجعا نظرا لأهميته التاريخية في حضارة معينة"[٤] ورد ذلك على لسان عم عربي حينما قال: "القناة دائما يا منصور رمزا لصلابة المصريين. ثم قال ضاحكا: احك لمنصور يا سيادة القبطان عن يوم الامتحان قلت بدهشة: يوم الامتحان! قال جدي بكل فخر: نعم يا منصور .. بعد تأميم القناة في يوليو ٥٦، ظن المرشدون الأجانب أن المرشدين المصرين لن يستطيعوا القيام بالعمل بمفردهم، وفي يومي ١٤ و ١٥ سبتمبر عام ١٩٥٦ انسحب المرشدون الأجانب من قناة السويس عائدين لبلادهم، وعلى عكس توقعاتهم استطاع

١- قنال لا تعرف المحال، ص٢٦.

٢- السابق، ص٣٢.

٣- السابق، ص١٦.

٤- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م، ص١١٦.

المرشدون المصريون القيام بالعمل على أكمل وجه، رغم تضاعف عدد السفن المارة في القناة. قفزت قائلا: نعم تذكرت إنه يوم (عيد المرشد) الذي أنتظره كل عام لأرتدي بدلة القبطان هديتك لي يا جدي وأذهب معك للاحتفال"[١] فقد قصدت الكاتبة من قولها (يوم الامتحان) – على لسان عم عربي– خروج المرشدين الأجانب من القناة، موظفة صيغا إشارية تحدد (اليوم والشهر والسنة) الذي وقع فيه الانسحاب، لتقوم بعملية ربط بين الماضي والحاضر، وتواصل بين المتكلم والمخاطب.

أما قصة (حياة وكريمة): "المسافة من مطار أسوان لمدينة كوم أمبو، حيث منزل كريمة وكامل، تستغرق ساعة بالسيارة"[٢] برز العنصر الإشاري هنا من خلال لفظة (ساعة) الذي عد مركزا لإشارة زمنية متعلقة بزمن وصولهم إلى البيت.

"إنها ذات يوم أفرطت في تناولها، وشعرت بآلام في المعدة اضطرت على أثرها إلى الذهاب للوحدة الصحية"[٣] دل العنصر الإشاري (ذات يوم) – بالرغم من كونه إشارة زمنية – على عدم تعيين أو تحديد اليوم، ففي أي يوم من أيام الأسبوع حدث لحياة هذا الأمر؟ أهو في أول اليوم، أم في نهايته؟

"وفي الصباح كان عليها أن تغادر بيت كريمة الذي قضت فيه أياما جميلة بصحبتها ووالدتها الحنونة الطيبة"[٤] إشارة زمنية للدلالة على الوقت الذي غادرت فيه حياة بيت كريمة، أي أول النهار.

"إنها المرة الأولى التي يأتي بمفردها لوطنها مصر بعد غيبة عشر سنوات"[٥] فالإشارة الزمنية (سنوات) تحيل في سياق الكلام إلى المدة الزمنية التي غابتها حياة عن وطنها وذلك بإضافة لفظ (عشر) لتدل من خلالها على عدد تلك السنوات.

١- قنال لا تعرف المحال، ص٢١، ٢٣.

٢- حياة وكريمة، ص١٥.

٣- السابق، ص٢١.

٤- السابق، ص٢٤.

٥- السابق، ص٥.

هكذا تنوعت الإشاريات الزمانية وانتقلت بالمتلقي من الماضي إلى الحاضر، مع ثبات المكان الذي لم يتغير في القصتين (هيئة القناة) في قصة قنال لا تعرف المحال، ومحافظة (أسوان) في قصة حياة وكريمة، مع تغير في ملامحه بتغير زمن الحكي والأحداث والشخصيات.

٣- الإشاريات المكانية:

ويقصد بها العناصر التي يشار بها إلى أماكن ورد ذكرها في النص ومن خلالها يتم معرفة مكان المتكلمين لحظة التكلم، أو قد تشير إلى أماكن أخرى معروفة للمتلقي أو القارئ، "كما أن تحديد المرجع المكاني مرتكز على تداولية الخطاب، وهو ما يؤكد أهمية استعماله لمعرفة مواقع الأشياء"[١]، وقد أتت الإشاريات المكانية واضحة في القصتين من خلال أحداث تاريخية ووطنية تم توظيفها عبر أحداثهما.

ففي قصة (قنال لا تعرف المحال) نجد الكاتبة تذكر مدينة السويس وتضيف عنصرا إشاريا آخر يتمثل في قناة السويس التي مثلت مسرحا للأحداث وكانت هدفا أساسيا أقيم عليه العمل كله :"أعيش في مدينة السويس الباسلة مع عائلتي، والدي قبطان ماهر يعمل في قناة السويس. صديقي الكبير، جدي منير، قبطان قدير .. حصل على عديد من الأوسمة طوال فترة عمله في هيئة قناة السويس"[٢]، "يخبره بمشكلة السفينة (إيفرجيفن) التي دخلت القناة من الجهة الجنوبية، ناحية السويس، واصطدمت بالصخور؛ فجنحت وتوقفت في عرض القناة!"[٣]، "فقد بدآ العمل معا في هيئة القناة"[٤]،"وصلنا عند شاطئ القناة وهو يغني بصوته العذب على أنغام السمسمية"[٥] ففي هذه الأمثلة تظهر القيمة التداولية التي تحملها الإشارة المكانية لمدينة السويس في السياق الخطابي، فهى حاضرة بقوة من خلال ذكر الكاتبة للأحداث التي مرت بها،

١- استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي بن ظافر الشهري، ص٨٤.

٢- قنال لا تعرف المحال، ص٤.

٣- السابق، ص١١.

٤- السابق، ص١٩.

٥- السابق، ص٣٥.

وعلاقتها بشخصيات العمل، ومدى حبهم لها ولمكان عملهم في القناة، وهذا يدل على أن الكلام "ليس متعاملا فحسب مع عنصر المكان وإنما هو حبيس في سياجه"[١].

"قال جدي: الأمر يحتاج يا ماهر للتفكير بشكل مختلف، تماما كما فكر المهندس العبقري باقي ذكي يوسف صاحب فكرة تحطيم خط بارليف بخراطيم المياه"[٢]، تستحضر الكاتبة هنا ذكرى ماضية مرت على قناة السويس متمثلة في خط بارليف لتجعل منها رسالة تواصلية وبعدا تداوليا يتعرف فيه الأطفال على صاحب فكرة استخدام مضخات المياه لإزالة الساتر الترابي أمام خط بارليف على الضفة الشرقية من القناة، وبذلك تكون قامت بعملية ربط تواصلية بين الماضي والحاضر لتدلل من خلالها على قوة وجسارة القناة منذ القدم، لذلك فإن الكاتب الجيد هو الذي "يستثمر أشياء المكان لإنتاج دلالات واضحة تغذي نصه وتمثل منعطفات مشعة في عالم النص"[٣]

قصة (حياة وكريمة): تستحضر الكاتبة بعض الإشاريات المكانية نذكر منها: "هبطت الطائرة القادمة من نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية بمطار أسوان الدولي"[٤]، " أنا حتى لا أعرف اسم الفندق في أسوان،"[٥]، "ستأتين معنا لمنزلنا في كوم أمبو"[٦] فمن خلال هذه الأمثلة نجد أن البعد التداولي لمحافظة أسوان واضحا عبر الأماكن المختلفة التي ذكرتها الكاتبة، والتي اعتمدت في استعمالها وتفسيرها على مكان المتكلم من ناحية، أو مكان معروف يذهبون إليه من ناحية أخرى، ولذلك كله "لا ينفك المرسل عن المكان عند تلفظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشاريات المكانية

١- التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص٢٤٨.

٢- قنال لا تعرف المحال، ص٢٥.

٣- استراتيجية المكان، دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، مصطفى الضبع، ص٥٠.

٤- حياة وكريمة، ص٥.

٥- السابق، ص١٢.

٦- السابق ، ص١٤.

مشروعية إسهامها في الخطاب"[١]، أما من ناحية الدلالة السياقية لهذه الأماكن – أيضا – فإنها توضح مدى تأثر المحافظة بتلك المبادرة.

"وقفت السيارة أمام بيت أبيض اللون تزينه نقوش بألوان زاهية"[٢] إشارة تداولية لجأت إليها سماح أبوبكر عزت لتقدم وصفا لبيت كريمة من خلال توظيف اللون الذي أضفى على المكان صورة مرئية، وجمال جذب بقوة نظر الطفلة حياة، ومعروف أن "الجمال هو الشيء الجاذب لنفوس ناظريه، وهذا لا يكون إلا بمدى ما يلقيه على النفس من أثر نافذ، ينطبع عليها، ويؤثر فيها"[٣].

٤- الإشاريات الاجتماعية:

يعرف هذا النوع من الإشاريات على أنه "ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هى علاقة رسمية أو غير رسمية، فنحن نستعمل في حياتنا اليومية أسئلة ليست الغاية منها توجيه المرسل إليه لإنجاز فعل في المستقبل، لكنها توجهه إلى التلفظ بخطاب جوابي فقط"[٤] وما يلاحظ على هذه الإشاريات أنها تعمل على توطيد العلاقة بين الناس وتعزز أسلوب التواصل بينهم، وهذا من شأنه يخلق جوا من السلام والاستقرار، وهو ما يحتاجه الطفل في مراحل عمره المختلفة، والملاحظ أن الإشاريات الاجتماعية في قصتي سماح أبوبكر عزت تعكس مدى اتصال الكاتبة بمجتمعها وتواصلها الشديد معه، وحرصها كل الحرص على تصويره في أحسن صورة عارضة إنجازاته، ذاكرة تطوراته، شارحة لعلاقات أهله، موضحة مدى الترابط والتلاحم الذي يعيشون فيه. ومن تلك الإشاريات التي وردت في القصتين نذكر منها هذه الأمثلة:

١- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، ص٨٤.

٢- حياة وكريمة، ص١٧.

٣- القيم الإنسانية في أدب الأطفال، عبدالعاطي كيوان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص٢٤٧.

٤- الإشاريات المقامية في ديوان حاتم الطائي، دراسة تداولية، إبراهيم حمد مهاوش الدليمي، مجلة العلوم الإسلامية، الجامعة العراقية، العراق، العدد ١٥، ٢٠١٧م، ص٣٣.

في قصة (حياة وكريمة): "احتضنت كريمة حياة قائلة لها: لا تخافي يا حياة، ستأتين معنا لمنزلنا في كوم أمبو، وقال كامل بحماس، وهم يغادرون مطار أسوان: أعدك أن نبحث في كل فنادق أسوان عن اسمك في قائمة الحجوزات حتى تعثري على أصدقائك"[١] "التف حوله الأقارب والجيران وهم يوزعون التمور والكركديه على المارة في مشهد أثار دهشة حياة! رحبت أم كامل بحياة، وتعاطفت معها حين عرفت بحكايتها"[٢] استطاعت الكاتبة أن توظف ملمحا إشاريا اجتماعيا تمثل في دلالة الألفاظ التي أبانت تلك الروح الطيبة التي تتمتع بها الطفلة كريمة حين احتضنت حياة، وكيف التف الناس في سعادة وفرح لاستقبال كامل بعد حصوله على الشهادة.

"وهنا فكرت حياة في أن تصحب معها بعض الأكلمة والشيلان وتعرضها للبيع في مزاد خيري يخصص عائده لدعم مبادرة حياة كريمة. لاقت الفكرة إعجاب كريمة وتحمست أن تساعد والدتها لإنجاز أكبر عدد من المنسوجات، بل وعدت حياة أن تعلمها على النول الموجود بالبيت"[٣] فكرة حياة نحو المساهمة في مبادرة (حياة كريمة) ملمح اجتماعي يدعو إلى المساعدة بطريقة غير مباشرة، وتلفت انتباه المتلقي في كيفية المشاركة في هذه المبادرة.

"قبل أن تودعها، أهدتها أم كامل شالا مزركشا باللون الأحمر والأبيض والأسود نقشت عليه اسم (كريمة). أما كريمة فقد أهدتها والدتها شالا مماثلا وقد نقشت عليه اسم (حياة)، ودعت أم كامل حياة وقالت في تأثر: الآن أصبح عندي ابنتان .. حياة وكريمة. كانت هدية كامل وكريمة لحياة كليما غزلته كريمة، ونقشت عليه أغنية جميلة كتبها كامل، تقول كلماتها:

١- حياة وكريمة، ص١٤.

٢- السابق ، ص١٧.

٣- السابق، ص٢٣.

حياة وكريمة

قلب واحد بيحب مصر

عيون بتشوف الجمال وعزيمة متعرفش المحال

إيدين تبادر بالخير وعقل يفكر دايما في الغير

حياة وكريمة

في أي مكان في الدنيا

نتلاقى بكل ود ما يفرقنا حد!"[١]

بعد إشاري آخر يصور مدى العلاقة التي ربطت بين حياة وأسرة كريمة، فهى علاقة قائمة على المحبة والود والأخوة. وقد تضافرت هذه الإشاريات في قصة حياة وكريمة لترسم للمتلقي / الطفل صورة كاملة عن تلك المبادرة التي تنفذها الدولة من ناحية، وعن علاقة سكان محافظة أسوان ببعضهم وبغيرهم من ناحية أخرى.

وفي قصة (قنال لا تعرف المحال): ترصد الكاتبة بعدا إشاريا اجتماعيا لتلك العلاقة القوية والصداقة المتينة التي جمعت بين الجد والعامل البسيط عم عربي سائق الكراكة الماهر، والعازف على آلة السمسمية، مستحضرا الذكريات الدافئة التي جمعت بينهما أثناء عملهما في القناة: "من بعيد تردد صدى الأنغام العذبة للسمسمية، قال جدي في لهفة: لابد أنه عم عربي، صديقي العزيز الذي يأتي دائما في وقته .. هيا يا منصور نستقبله"[٢] ثمة عنصر إشاري آخر تفصح من خلاله الكاتبة عن تلك العلاقة بين بطل القصة الصغير (منصور) بجده وصديقه الكبير القبطان (منير) الذي يروي له عن رحلاته البحرية التي قام بها بكل شوق وحنين وحب لعمله كقبطان، وأن أجمل صوت يحبه هو صوت نفير السفن في القناة، وكيف تأثر الطفل بتلك العلاقة ورغب في أن يكون كجده وأبيه: "احتضنت جدي في فرح قائلا: أعدك يا جدي أن أواصل مسيرتك ومسيرة أبي .. سأكون بإذن الله قبطانا ماهرا كأبي،

١- حياة وكريمة، ص٢٤، ٢٦.

٢- قنال لا تعرف المحال، ص١٩.

منصورا بفضل دعواتك ودعمك"[١] وهكذا أحال العنصر الإشاري من خلال هذه العلاقة إلى أن يكون خطاب الكاتبة في القصة خطابا حميميا، تزينه التلقائية الشديدة المنبثقة من كلمات الطفل والجد لتقيم حوارية – قوامها السؤال والجواب – تفصح للصغير عما يريد معرفته.

المحور الثالث: الأفعال الكلامية في القصتين:

قبل التعرض للفعل الكلامي في القصتين نعرض للعناصر السياقية التي يقوم عليها الخطاب، وهى كالآتي:

أ- المرسل/ المخاطب:

الركن الأول في العملية التواصلية والموقف الكلامي، الذي ينشئ الرسالة ويشحنها بما تحتاجه من مادة لازمة بالنظر إلى الموضوع الذي تدور حوله، وينسج خيوطها بغية توصيلها إلى الآخرين، و"من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه. ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه، باعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنيا والاستعداد له، بما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة، وبما يضمن تحقق منفعته الذاتية؛ بتوظيف كفاءته للنجاح في نقل أفكاره بتنوّعات مناسبة وهو يختار لذلك ما يتناسب مع مكانته ومنزلة المرسل إليه "[٢] ومعروف أن لكل شخص "مجموعة من الكلمات يشعر أن لها دلالات وارتباطات خاصة، فكلمة مثل (البيت) قد تستدعي في ذهن البعض الرحمة والحنان، بينما تثير في ذهن آخرين معاني الشقاء والعذاب، بينما قد تثير في نفس شخص ثالث شيئا آخر مثل رؤية ابن أو الجلوس في حجرته الخاصة، أو مكتبه، ومعنى هذا أن ما توحيه أو تتضمنه الكلمة لا يرتبط بمستوى معين من الاستعمال"[٣] وقد استطاعت الكاتبة سماح أبوبكر عزت أن تكيف صيغها وعلاماتها اللغوية وتنتقي عبارتها لتنقل فكرتها

١- قنال لا تعرف المحال، ص٣٧.

٢- استراتيجيات الخطاب، عبدالهادي بن ظافر الشهري، ص٤٥.

٣- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية، عبد النعيم خليل، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص٨٥، ٨٦.

بطريقة تناسب الفئة التي تخاطبها، فلكل فئة خطابها الخاص، ولكل كاتب أسلوب يميزه عن غيره، فـــ "الأسلوب لا يقل أهمية عن المضمون في تحقيق أهداف أدب الطفل؛ لأن الطفل يتعلم من الأسلوب أشياء كثيرة، ابتداء من مفردات اللغة، والتعود على النطق السليم، إلى التراكيب والأساليب، والصور الجمالية المختلفة"[١] وهذا يدل على وعي الكاتبة والحس الذوقي الذي تتمتع به والناتج عن معايشتها للأطفال وواقعهم، وبالتالي أثارت المتلقي نحو خطابها القصصي، ومن ثم تفاعله والاقتناع به، وقد ساعدها على ذلك توظيف مجموعة من القدرات والمعطيات التي تتصل اتصالا مباشرا بعناصر الاتصال من جهة، ومقامات سياق الحال من جهة أخرى، والتي تدل على أن تكوين الجمل والعبارات لا تقف عند الحدود الصوتية والتركيبية والصرفية، بل إن طبيعة التفاعل الكلامي تقتضي النظر إلى هذه القدرات:[٢]

- **القدرة اللغوية:** وهى القدرة التي تمكن مستعمل اللغة من إنتاج وتأويل العبارة اللغوية المعقدة والمتنوعة تنوع المقامات التواصلية.

- **القدرة المعرفية:** وتفيد أن المتكلم يستطيع اشتقاق جملة من المعارف بواسطة قواعد التعليل المحكومة بمبادئ النطق الاحتمالي والاستنباطي.

- **القدرة الإدراكية:** وتفيد أن المتكلم قادر على إدراك المحيط واستنباط المعرفة من إدراكاته واستثمارها في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

- **القدرة الاجتماعية:** وتعني أن المتكلم لا يعرف ماذا يقول فحسب؛ بل يعرف أيضا كيف يقول شيئا لمحاوره، كما يعرف بدقة المقامات التي تمكنه من بلوغ مقاصده التواصلية.

١- أدب الأطفال، أهدافه وسماته، محمد حسن بريغش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦ه، ١٩٩٦م.ص٢٢٤.

٢- الإطار المتكلمي في اللغويات المعاصرة، إسهام في استكشاف أصوله المعرفية، عبدالإله بوغابة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، إشراف: أحمد العلوي، الدار البيضاء، جامعة الحسن الثاني، ١٩٩١م، ص١٥٦.

ب-المرسل إليه/ المخاطب:

الركن الثاني في العملية التواصلية، ومستقبل الخطاب، وعن طريقه تتحقق أهداف المرسل التأثيرية والتفاعلية عن طريق اختياره للألفاظ التي تساعده في إيصال الهدف المرجو من الخطاب. ويمثله هنا فئة الأطفال.

ج- الرسالة/ الخطاب:

ويعني "النص اللغوي بعد استعماله، وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من المخاطب إلى المخاطب .. وهذا الخطاب يرتبط في داخله ترابطا تعلقيا وعضويا ... وكما يرتبط الخطاب في تركيبه بالواقع الخارجي من حيث المطابقة وعدمها ... ويرتبط الخطاب كذلك بالمتخاطبين "[١] أي "المضمون أو الفكرة التي يرسلها المرسل إلى متلق، وتتم من خلال الكلمة المكتوبة أو المنطوقة أو من خلال الإشارة أو علامة (شفرة) تتضمن المعنى المقصود من الرسالة الاتصالية"[٢] ولعلها تتمثل في قوة وبطولة العمال المصريين في مواجهة أزمة جنوح السفينة، وتعريف الأطفال على منجزات الدولة المصرية. وبذلك حرصت الكاتبة على الالتزام بـــ"الإبداع المؤسس على خلق فني، والذي يعتمد بنيانه اللغوي على ألفاظ سهلة، ميسرة، فصيحة غير حوشية تتفق والقاموس اللغوي للطفل بالإضافة إلى خيال شفاف غير مركب، ومضمون هادف متنوع كذلك، مع توفر القصر المقصود للنص الأدبي"[٣]

د- موضوع الرسالة:

متعلق بالواقع المعيش، أزمة جنوح السفينة في قصة قنال لا تعرف المحال، ومبادرة حياة كريمة في قصة حياة وكريمة.

١- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ص١٥٧ : ١٥٩.

٢- لغة الخطاب السياسي (دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال)، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ط١، ١٤٢٦هـــ، ٢٠٠٥م، ص٢٤.

٣- أدب الطفولة (أصوله ومفاهيمه، رؤى تراثية)، أحمد زلط، الشركة العربية للنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م، ص٢٥.

الفعل الكلامي:

يعد من دعائم الدراسة التداولية، ويقصد به "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires(كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... إلخ)، وغايات تأثيرية Actes Perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول). ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما"[١] كما قيل هو "عبارة عن أداء لفعل معين كأن أمر بضرورة القيام بعمل ما أو وعد بإنجاز عمل آخر أو حكما لفعل معين بحالة شعورية تجد طريقتها التجسيد اللساني"[٢]، أي أنه يقوم "على التفاعل حيث لا يمكن أن تتحقق أبعاده الإنجازية من غير دخول المتكلم والمتلقي في علاقة تخاطبية معينة تعمل على تحديد الأدوار بينهما من جهة، وبالتالي ضبط المقاصد من جهة أخرى. فالعبرة ليس ما تقدمه اللغة من معلومات بين شركاء الخطاب؛ بل ما يمكن أن تؤديه بمستوياتها المختلفة الصوتية والصرفية والتركيبية والأسلوبية في تشكيل القوة المتضمنة في القول انطلاقا من موقف تواصلي معين"[٣]

وتقوم نظرية الأفعال الكلامية على أساسين هما: عرفية الاستعمال ومقصد المتكلم، فأما عرفية الاستعمال فذلك أن استعمال اللغة منوط بما تعارف عليه أبناؤها في ألفاظها وصيغها وتراكيبها وما تقتضيه مقامات الكلام وأعراف الناس وأحكام الشرع. ومن ثم كان العرف ثلاثة أعراف: عرفا لغويا استعماليا، وعرفا اجتماعيا

١- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، ص٤٠.

٢- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، نعمان بوقرة، عالم الكتاب الحديث، اربد، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م، ص٨٩،٩٠.

٣- سياق الحال في الفعل الكلامي، مقاربة تداولية، سامية بن يامنة، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٤٣٢/ ١٤٣٣هـ، ٢٠١١/٢٠١٢م، ص١٨٤.

وعرفا شرعيا. وأما مقصد الكلام فيراد به أن يكون لكلام المتكلم قصد وهذا القصد ثابت لا يتغير، وهو لذلك يتخذ من الوسائل الكلامية والمقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريد، وتتفاوت مراتب السامعين في إدراك مقصود المتكلمين تبعا لتفاوت قدراتهم العقلية واللغوية والثقافية.[١]

وقد أعاد سيرل تصنيف الأفعال الإنجازية وجعلها خمسة أصناف كالآتي:[٢]

أولا: الإخباريات (التقريريات) Assertives

والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما (بدرجات متفاوتة) من خلال قضية Proposition يعبر بها عن هذه الواقعة. وأفعال هذا الصنف كلها تحمل الصدق والكذب. واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم Words-World ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح expositives عند أوستن وكثيرا من أفعال الأحكام verdictives .

ثانيا: التوجيهيات Directives

وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما. واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات World-to-Words وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، والمحتوى القضوى فيها هو دائما فعل السامع شيئا في المستقبل. ويدخل في هذا الصنف الاستفهام، والأمر والرجاء والاستعطاف والتشجيع، والدعوة والإذن والنصح، بل التحدي.

ثالثا: الالتزاميات Commissives

وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم (مرة أخرى بدرجات متفاوتة) بفعل شيء في المستقبل. واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من العالم إلى الكلمات World-to-Words وشرط الإخلاص هو القصد Intention، والمحتوى القضوى فيها دائما فعل المتكلم شيئا في المستقبل.

١- انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي، محمود أحمد نحلة، ص٨٥ : ٨٩.

٢- السابق، ص٧٨: ٨٠.

وظاهر أن اتجاه المطابقة في الالتزاميات والتوجيهيات واحد فهل يسوغ ذلك ضمهما في قسم واحد؟ والجواب أن ذلك غير ممكن لسببين: أحدهما أن المرجع في الالتزاميات هو المتكلم أما في التوجيهيات فهو المخاطب. والثاني أن المتكلم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، وفي التوجيهيات يحاول التأثير فيه.

رابعا: التعبيريات Expressives

وغرضها الإنجازي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات. وكل ما هو مطلوب في التعبير عن القضية ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والتعزية، والترحيب.

خامسا: الإعلانيات Declarations

والسمة المميزة لهذا الصنف من الأفعال أن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوى للعالم الخارجي، فإذا أديت أنا فعل تعيينك رئيسا للوفد أداء ناجحا فأنت رئيس للوفد وإذا أديت فعل إعلان الحرب أداء ناجحا، فالحرب معلنة، وأهم ما يميز هذا الصنف من الأفعال عن الأصناف الأخرى أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم، فضلا عن أنها تقتضي عرفا غير لغوي. واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف قد يكون من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص.

وفيما يلي جدول توضيحي يبين القوة الإنجازية لهذه الأقسام في القصتين:

أولًا: قصة قنال لا تعرف المحال:

أ- الإخباريات:

رقم الصفحة	الفعل الكلامي	القوة الإنجازية
٤	أعيش في مدينة السويس الباسلة مع عائلتي، والدي قبطان ماهر يعمل في قناة السويس. جدي منير قبطان قدير، حصل على عديد من الأوسمة طوال فترة عمله في هيئة القناة.	التعريف ببطل القصة ووالده وجده وبيان عمل كل واحد منهما.
٧	أجمل صوت يحبه جدي وينتظره كل يوم، صوت نفير السفن .. كلما سمعه يرتدي كاب القبطان الأبيض ويرفع يده بالتحية في حماس ...	دلالة على حب الجد لعمله وتشوقه لسماع صوت نفير السفن
٨	كل تلك الاشياء نقلها لابي، الذي كان يستشيره دائما في أي أمر يحيره.	دلالة على خبرات الجد وتمكنه في عمله.

١١	خرج ابي كعادته، مرت الساعات ولم يعد في موعده وأخيرا اتصل بجدي يخبره بمشكلة السفينة إيفرجيفن.	بداية العلم بمشكلة السفينة.
١٣	السفينة إيفرجيفن طولها يساوي طول اربعة ملاعب كرة قدم ولأن طولها أكبر من عرض القناة، غرست في الرمال ...	وصف السفينة الجانحة.
١٥	عاد ابي لدقائق ليطمئن علينا وليخبر جدي ان محاولات سحب السفينة وشدها للأسف لم تنجح.	الإخبار بحالة فشل سحب السفينة.
١٦	مرت ثلاثة ايام ولا تزال اخبار السفينة تتصدر كل نشرات الأخبار في العالم بقلق وترقب.	دلالة على متابعة العالم لهذه المشكلة.
١٩	من بعيد تردد صدى الأنغام العذبة للسمسمية، قال جدي في لهفة: لابد أنه عربي صديقي العزيز. يعتز جدي بصداقته؛ فقد بدآ العمل معا في هيئة القناة.	حب الجد لصديقه والاعتزاز بتلك العلاقة التي ربطت بينهما منذ عملهما في القناة.
٢٠	تعددت لقاءات جدي وعم عربي.	توضيح لمدى العلاقة الطيبة بينهما.
٢٣	انسحب المرشدون الأجانب من قناة السويس عائدين لبلادهم.	وصف حوادث ذات صلة بالواقع، ومن ثم يمكن الحكم عليها من خلال الخطاب- بالصدق أو الكذب، وذلك بالاحتكام إلى الزمن الماضي الذي وقعت فيه تلك الحادثة.
٢٥	العالم كله كان ينتظر بقلق أخبار السفينة الجانحة	تخبر بحالة الترقب والانتظار التي اجتاحت العالم .
٢٨	مر اليوم وجدي لا يفارق هاتفه في انتظار اتصال أبي.	دلالة على الانتظار لتلقي أخبار عن السفينة.
٢٩	اثناء عملية التكريك اصطدمت الكراكات بالصخور الصلبة ولجأنا لاستخدام الحفارات لتكسيرها.	وصف الوضع الراهن للسفينة.
٣١	خمسة أيام والعالم يتابع أخبار السفينة.	توضيح المدة الزمنية لحال السفينة.
٣٢	أشرقت شمس يوم ٢٩ مارس وتعالت صيحات الانتصار وهتافات الفرح.	دلالة على نجاح المهندسين المصريين في حل مشكلة السفينة.
٣٤	ارتدى جدي بدلة القبطان وارتديت بدلتي.	دلالة على حالة الجد والحفيد عقب معرفتهم بحل المشكلة.
٣٧	ستظل قناة السويس كنزا للخيرات والخبرات.	توضيح لمكانة وصلابة قناة السويس.

ب- التوجيهيات:

رقم الصفحة	الفعل الكلامي	القوة الإنجازية
٨	كيف أن نصائح جدي أرشدته ونفذها بكل دقة وإتقان حتى وصل بالسفينة إلى بر الأمان.	هنا فعل إنجازي غير مباشر، فمعناه الحرفي الاستفهام، فقد بدأ بالأداة (كيف)، ولكن منصور لم يقصد الاستفهام، أي غير مراد، ولكنه وضح فائدة النصائح التي التزمها والده في نجاته ووصوله لبر الأمان، لذلك خالفت القوة الإنجازية غير الحرفية التي أرادها منصور.
١٢	ما الفرق بين السفينة إيفرجيفن وبقية السفن العملاقة التي أشاهدها تعبر القناة في سلام؟	استفهام غرضه الاستفسار عن الفرق بين السفينة الجانحة وباقي السفن.
١٥	ودعنا أبي قائلا في إصرار: لن أعود قبل أن نجد حلا مع رفاقنا مهندسي الهيئة لتعويم السفينة.	دلالة على الإرادة القوية والتصميم في إيجاد الحل.
١٦	سألت جدي بقلق وخوف: هل ستعود الملاحة قريبا في القناة؟	استفهام غرضه الحيرة وكيف يمكن أن تعود الملاحة مرة أخرى في الوقت القريب.
٢٥	الأمر يحتاج يا ماهر للتفكير بشكل مختلف، تماما كما فكر المهندس العبقري باقي ذكي يوسف صاحب فكرة تحطيم خط بارليف.	الخطاب هنا يتسم بالإخلاص لأن الجد حريص على تعويم السفينة، والتفكير في إيجاد حلول مستندا على ما تم فعله من قبل في حرب السادس من أكتوبر.
٢٧	ليتني معهم لكني أثق بعمال هيئة قناة السويس الأكفاء.	تمني غرضه الدلالة على رغبة عم عربي في وجوده مع عمال الهيئة.

ج- التعبيريات:

رقم الصفحة	الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي
١٩	هيا يا منصور نستقبله.	دلالة على الترحيب وحفاوة الاستقبال
٢٠	احك لمنصور يا سيادة القبطان عن يوم الامتحان.	أمر غرضه تعريف الحفيد بقوة المصريين في أي أزمة يمرون بها.
٢٣	قلت بدهشة: يوم الامتحان	دلالة على حالة التعجب التي اعترت منصور حينما طلب عم عربي من الجد أن يحكي له عن يوم انسحاب المرشدين الأجانب.
٢٦	ادع لنا يا أبي	أمر غرضه الدعاء إلى الله بنجاح عمليات تكريك الأرض أسفل السفينة لتحريك الرمال.
٢٧	رد جدي بحماس: ستنجون بإذن الله.	التعبير عن الحالة النفسية للجد، وإيمانه القوي في نصر الله لهم.
٣٢	العالم كله أشاد بقدرة وكفاءة المصريين أبناء القناة.	دلالة على النجاح والتصميم في تحقيق الهدف.
٣٤	خرجنا يدي في يده وفي اليد الأخرى يرفرف علم مصر، ومعنا عم عربي.	دلالة على حالة الفرح والسرور إثر نجاح المهندسين في تعويم السفينة.
٣٥	وصلنا عند شاطئ القناة وهو يغني بصوته العذب على أنغام السمسمية.	دلالة على السعادة وحالة الطرب.

د- الالتزاميات:

ما ورد منها في هذه القصة: التحذير ، ويقصد به "تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه"[١] وقد جاء على لسان الجد "إياكم واليأس .. ستنجون بإذن الله"[٢] وهو فعل قائم على أساس التنبيه والأمر بالاجتناب من أن يصيب الابن وعمال الهيئة اليأس عقب اصطدام الكراكات بالصخور الصلبة.

١- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ص١٥٢.

٢- ص٢٩.

ثانيًا: قصة حياة وكريمة:

أ- الإخباريات:

رقم الصفحة	الفعل الكلامي	القوة الإنجازية
٥	هبطت الطائرة القادمة من نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية بمطار أسوان الدولي.	الإخبار عن وصول حياة إلى محافظة أسوان.
٧	بحثت حياة عن هاتفها المحمول؛ لتتصل بصديقاتها .. لكن لم تعثر عليه.	فقدان الهاتف.
٨	تتأمل وجوه القادمين معها في رحلتها.	القوة الإنجازية في الفعل المضارع تتأمل، أفاد الإخبار عن حالة حياة بحثا عن الراكب الذي كان يجلس بجوارها في الطائرة.
١١	تلفتت حياة لتجد خلفها فتاة في مثل عمرها جميلة سمراء عيناها تشعان خفة ظل وذكاء.	سرد تصف الكاتبة من خلاله الطفلة كريمة.
١٢	انا اعرفها من قبلك؛ كنا نجلس متجاورين طوال رحلة العودة.	إخبار كامل أخته بمعرفة حياة.
١٥	تتأمل كل ما حولها، استرعى انتباهها اتساع الطريق والإضاءة الجيدة.	مازالت الكاتبة تسوق الجمل الإخبارية لتدلل على ما نفذته مبادرة حياة كريمة على أرض الواقع.
١٧	وقفت السيارة أمام بيت أبيض اللون تزينه نقوش.	الإخبار بوصول كامل وكريمة ومعهم حياة إلى بيتهم.
١٩	تنقلت حياة مع كريمة وكامل لأكثر من مكان يسألون الفنادق عن حجز باسمها.	سرد يؤكد على مساعدة كامل وكريمة لحياة.
٢١	في كل يوم كانت حياة تتعلم بعض كلمات اللغة العربية	دلالة على اكتساب حياة لمجموعة من كلمات اللغة العربية.
٢٣	طافت حياة مع كريمة وهي توزع الأكلمة والشيلان التي تغزلها والدتها بإتقان.	وصف لبعض التفاصيل التي تقوم بها كريمة وحياة في يومهما.
٢٤	توصل كامل للفندق الذي تقيم به صديقات حياة.	إخبار الكاتبة بمعرفة المكان الذي يقيمون فيه صديقات حياة.
٢٦	كانت هدية كامل وكريمة لحياة كليما غزلته كريمة، ونقشت عليه أغنية جميلة كتبها كامل.	سرد لتفاصيل هدية كامل وكريمة لحياة.

ب- التوجيهيات:

رقم الصفحة	الفعل الكلامي	القوة الإنجازية
٧	هل نسيته في الطائرة؟	استفهام غرضه الاستفسار
٨	وتساءلت بحيرة: كريمة؟؟ ماذا تعني؟	استفهام غرضه الحيرة والاستغراب.
١١	هل يمكنني أن أساعدك؟	استفهام غرضه تقديم المساعدة.
١٢	هل سيوصلك لمنزلك؟ ألم تجد هاتفي؟ كيف سأتصل بصديقاتي؟ ما العمل الآن؟	دلالة الاستفهام هنا الحيرة والقلق وقلة الحيلة في التصرف.
١٤	احتضنت كريمة حياة قائلة لها: لا تخافي يا حياة.	نهي غرضه التخفيف من وطأة خوف حياة.
١٩	وماذا فعلنا؟	استفهام غير مباشر غرضه الاستفسار عما فعلته حياة وكريمة لتطوير المحافظة.

ج- التعبيريات:

رقم الصفحة	الفعل الكلامي	الغرض الإنجازي
٥	نظرت حياة من نافذة الطائرة وبداخلها مشاعر متناقضة قلق، خوف، فرح، حيرة.	تزاحم الأفكار والقلق الشديد الذي انتاب حياة.
٧	سيطرت عليها مشاعر اليأس.	دلالة على التوتر والخوف.
٨	ثم هتفت في دهشة: حياة .. اسمي أنا!	دلالة على التعجب إثر قراءة اسمها على اللافتة.
١١	زادت دهشة حين علمت ان حياة مصرية، لكنها لا تقرأ ولا تتحدث العربية.	دلالة على التعجب من امر حياة.
١٢	هتفت كريمة بفرح قائلة: كامل. عانقته بفرح.	حالة الفرح والسرور عند لقاء أخيها.
١٧	تعاطفت معها حين عرفت بحكايتها.	دلالة على التعاطف .
١٧	التف حوله الاقارب والجيران وهم يوزعون التمور والكركديه على المارة في مشهد أثار دهشة حياة. رحبت أم كامل بحياة.	فرح الأهل والجيران، وحفاوة الترحيب والاستقبال.
٢٣	لاقت الفكرة إعجاب كريمة وتحمست أن تساعد والدتها لإنجاز أكبر عدد من المنسوجات.	تشجيع وترحيب بفكرة حياة في تخصيص عائد بيع الأكلمة والشيلان لمبادرة حياة كريمة.
٢٤	ودعت ام كامل حياة وقالت في تاثر: الان أصبح عندي ابنتان حياة وكريمة.	الحزن على فراق حياة.

د- الالتزاميات:

ما ورد منها في القصة، الوعد، ويقصد به المعروف ومنفعة الغير في المستقبل ويكون بالخير والشر [١]، وقد تمثل هذا الوعد في قول كامل: "أعدك أن نبحث في كل فنادق أسوان عن اسمك في قائمة الحجوزات حتى تعثري على أصدقائك"[٢] فقد عبَّر كامل لحياة عما ينويه في المستقبل والوقوف بجانبها حتى تعثر على صديقاتها بعد أن ضاع منها الهاتف الذي سجلت عليه بيانات رحلتها بالكامل. ومع نهاية القصة يتحقق وعد كامل ويصل إلى الفندق الذي تقيم فيه صديقات حياة.

وبالنظر إلى هذه الجداول التوضيحية لأقسام الفعل الكلامي في القصتين يتبين أن نسبة الإخباريات مرتفعة تليها التعبيريات ثم التوجيهيات، وأخيرا الالتزاميات، ولعل هذا يوضح مدى اهتمام الكاتبة بالجانب السردي في ذكر المشاهد والأحداث التي مرت بها قناة السويس وكيف أثبت المصريون جدارتهم في حل المشاكل التي تواجههم، ومدى انعكاس (مبادرة حياة كريمة) على محافظات الصعيد. وتصوير المشاعر والحالة النفسية لشخصيات القصتين تصوير توفر فيه شرط الإخلاص.

المحور الرابع: الاستلزام الحواري:

جانب من جوانب الدرس التداولي باعتباره الركيزة الأولى لأي عملية تواصلية، وهو "مفهوم لصيق بلسانيات الخطاب، التي أخذ معها البحث اللساني منحى متميزا، إذ لم يعد الأمر معها يعني بوضع نظريات عامة لعملية الخطاب، وإنما انصب الاهتمام على العملية في حد ذاتها"[٣] ومن هذا المنطلق أسس جرايس نظريته المعروفة بالاستلزام الحواري القائمة على مبادئ منصوص عليها، و"لقد كانت نقطة البدء عند جرايس هى أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما

١- انظر: مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، الجزء الثالث، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص٩٣١.

٢- ص١٤.

٣- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، ص١٧.

يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال what is said، وما يقصد what is meant، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية face values وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد أن يقيم معبرا بين ما يحمله القول من معنى صريح explicit meaning وما يحمله من معنى متضمن inexplicit meaning"[١]

وأما عن أنواع الاستلزام فقيل نوعان "استلزام عرفي conventional implicature واستلزام حواريconversational implicature فأما الاستلزام العرفي فقائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب. ومن ذلك مثلا في الإنجليزية but ونظيرتها في اللغة العربية لكن فهى هنا وهناك تستلزم دائما أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقعه السامع مثل: My Friend is Poor, but honest، ومثل زيد غني لكنه بخيل. وأما الاستلزام الحواري فهو متغير دائما بتغير السياقات التي يرد فيها"[٢].

وتقوم نظرية الاستلزام الحواري على مبدأ التعاون القائم بين المرسل والمتلقي، ومن ثم كشف المقاصد وتحقيق المطلوب، حيث يفترض جرايس "أن المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعاون. فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل أقواله"[٣]. ومبدأ التعاون مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ maxims فرعية هى: [٤]

١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص٣٣.

٢- السابق، نفس الصفحة.

٣- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، يوليو ٢٠٠٣م، ص٥٥.

٤- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص٣٤.

١- مبدأ الكم Quantity: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه.

٢- مبدأ الكيفQuality: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

٣- مبدأ المناسبةrelevance: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

٤- مبدأ الطريقة manner: كن واضحا ومحددا: فتجنب الغموض obscurity، وتجنب اللبس ambiguity، وأوجز، ورتب كلامك. وقيمة هذه "القواعد أو القوانين (maxims) المقدمة تتجلى في كونها تمكن من استدلالات تتجاوز المحتوى الدلالي. فالاستلزام يعتمد بالإضافة إلى المضمون، على مطالب تتعلق بطبيعة التحاور القائمة أساسا على التعاون. وعليه فعند حدوث فشل في أي حوار فإن علة ذلك لا تعزي إلى الحوار نفسه، وإنما إلى ممارسة تلك المبادئ وتطبيقها على مستوى الإنجاز"[١]. أي أن "هذه المبادئ التي يجري عليها الحوار كثيرا ما تنتهك، فانتهاك مبادئ الحوار flouting of maxims هو الذي يولد الاستلزام"[٢]

من صوره في القصتين:

"سألت جدي في دهشة: ما الفرق بين السفينة إيفرجيفن وبقية السفن العملاقة التي أشاهدها تعبر القناة في سلام؟

قال جدي وهو يفكر: السفينة إيفرجيفن طولها يساوي طول أربعة ملاعب كرة قدم! ولأن طولها أكبر من عرض القناة، غرست في الرمال وأصبحت مقدمتها على شاطئ القناة ونهايتها على الشاطئ المقابل. وتلك هى الكارثة."[٣]

واضح أن مبدأ التعاون والمبادئ الحوارية التي يتفرع إليها متحققة كلها في هذا الحوار القصير بين الحفيد (منصور) والجد (منير)، فالجد كانت إجابته واضحة، ومن حيث مبدأ (الكيف) فهى صادقة، ومن حيث مبدأ (الكم) استخدم القدر المطلوب

١- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، ص١١١، ١١٢.

٢- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص٣٥.

٣- قنال لا تعرف المحال، ص١٢، ١٣.

دون زيادة أو نقص، وكانت الإجابة أيضا ذات صلة بسؤال منصور (المناسبة)، وهنا لم يتولد استلزام؛ لأن الجد قال ما كان يقصده.

"سألته حياة: ألم تجد هاتفي؟

أجابها كامل في تعاطف: للأسف لم أجده"[١]

فإجابة كامل عن سؤال حياة كانت واضحة ومحددة من حيث الكم والكيف والمناسبة أيضا، ولهذا لم يتولد استلزام كما في المثال السابق، لأن كامل أجاب دون زيادة أو نقصان، وكانت إجابته شديدة الصلة بالموضوع المطروح، وكان صادقا موجزا في قوله.

"سألت جدي بقلق وخوف: هل ستعود الملاحة قريبا في القناة؟

بابتسامة هادئة رد قائلا: أثق بقدرات مرشدي ومهندسي هيئة قناة السويس يا منصور. مرت على القناة أحداث كثيرة توقفت على أثرها الملاحة لشهور وأحيانا لسنوات وعادت الملاحة للقناة من جديد واستقبلت مياهها سفنا من كل أنحاء العالم"[٢]

واضح أن فيما قاله الجد انتهاكا لمبدأ من مبادئ الطريقة، وهو (اوجز) إذ كان يكفي أن يقول (نعم) أو (لا). وفي حال النظر إلى هذا الحديث في ضوء تحقق مبادئ الحوار الأخرى ربما كان الحفيد (منصور) يحاول به وجها غير ما يظهر، وهو البطء أو السرعة في إيجاد الحلول لتعود الملاحة إلى القناة مرة أخرى لأنه قرأ في كثير من المواقع استحالة عودتها في الوقت الحالي.

"اقتربت منها كريمة قائلة لها: هل يمكنني أن أساعدك؟ أجابت حياة بالإنجليزية: أنا لا أتحدث العربية"[٣]

هنا انتهاك لمبدأ الكم، فالإجابة لم تكن على القدر المطلوب ولكن كان هناك زيادة في الكلام.

١- حياة وكريمة، ص١٢.

٢- قنال لا تعرف المحال، ص١٦.

٣- حياة وكريمة، ص١١.

"هتفت كريمة بفرح قائلة: كامل

التفت حياة حولها قائلة: جمل! هل سيوصلك لمنزلك؟!

ضحكت كريمة وقالت: أعرف أن كامل تعني بالإنجليزية جملا، لكني أقصد أخي كامل، وثانيا الجمل ليس وسيلة المواصلات في أسوان"[١]

انتهاك لمبدأ (الكم) إذ أن الحوار لم يكن بالقدر المطلوب، ولكن كان هناك زيادة فيه، فسؤال حياة كان عن رجوع كريمة إلى المنزل سيكون بالجمل – بحسب فهمها للكلمة – ، وأتت إجابة كريمة بالشرح، ولم تكن مقتصرة على نعم أو لا.

"وحين لاحظ كامل دهشتها حدثها في مرح قائلا: الفضل لك ولكريمة!

فقالت حياة: وماذا فعلنا؟!"[٢]

في هذا الحوار إخلال بمبدأ (الكيف) الذي ينصب على التزام الوضوح في الكلام، وتجنب الغموض والالتباس الذي يحدث عادة عندما تحتمل العبارة أكثر من معنى، ويبدو أن كامل انتهكه عمدا ليجعل حياة تتساءل لتصل إلى المراد من الكلام، وهذا يستلزم أن كامل كان يقصد بقوله (الفضل لك ولكريمة) شيئا آخر غير ما تظهره تلك الكلمات، وهو الإشارة إلى مبادرة (حياة كريمة).

"هل نسيته في الطائرة؟

سيطرت عليها مشاعر اليأس، لكنها سرعان ما تغلبت عليها وقالت: ربما يكون الراكب إلى جواري قد عثر عليه"[٣]

يتضح مما قالته الكاتبة انتهاكا لمبدأ (الطريقة) وهو (أوجز) إذ كان يكفي الكاتبة أن تجاوب بنعم أو لا، ولكنها آثرت الزيادة على الاقتصاد في الكلام لأنها تستلزم إظهار الحالة التي انتابت حياة حال فقدانها لهاتفها.

"قالت في حيرة وهى تبكي: كيف سأتصل بصديقاتي؟ أنا حتى لا أعرف اسم الفندق في أسوان، كل معلومات الرحلة دونتها على الهاتف، ما العمل الآن؟!

١- حياة وكريمة، ص١٢.

٢- السابق، ص١٧: ١٩.

٣- السابق، ص٧.

احتضنت كريمة حياة قائلة لها: لا تخافي يا حياة، ستأتين معنا لمنزلنا في كوم أمبو، وقال كامل بحماس، وهم يغادرون مطار أسوان: أعدك أن نبحث في كل فنادق أسوان عن اسمك في قائمة الحجوزات حتى تعثري على أصدقائك"[١]

في هذا الحوار انتهاك لمبدأ (الكم) لأن حياة سألت عن أمرين، فأجيبت عن الثاني (ما العمل الآن؟) وسكت عن الأول (كيف سأتصل بصديقاتي)، فالإجابة هنا أقل من المطلوب.

خاتمة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

١- تعد قصة قنال لا تعرف المحال هى العمل الوحيد الذي تناول حادثة جنوح السفينة وتقديمها للأطفال بطريقة وأسلوب يبعد عن الثرثرة والسرد المباشر.

٢- حرصت سماح أبو بكر عزت على أن يكون عنوان القصتين ذا قدرة إيحائية تتسم بالاقتصاد اللغوي والاتساع الدلالي الذي يدفع بالمتلقي إلى بؤرة النص الأدبي ليكشف عن أبعاده في عملية تواصلية تربطهما معا.

٣- تعد الإشاريات الشخصية آلية من آليات الدرس التداولي، ولا يكاد يخلو نص أدبي منها؛ لأنها تعمل على اتساق وانسجام بنائه، وقد نوّعت الكاتبة في استخدامها للضمائر بين الحضور والغياب، وإن كانت ضمائر الحاضر حاضرة بقوة على مستوى القصتين.

٤- عدت العلامات الزمانية والمكانية من أهم العناصر السياقية في تشكيل الخطاب، وتعكس مدلولات تختلف باختلاف مجرى السياق الكلامي والأحداث المصاحبة للحظة التلفظ.

٥- ساعدت الإشاريات الزمانية في القصتين على نجاح عملية التواصل مع القارئ، فقد كانت بمثابة إحالة إلى سياق تواصلي يساعد في استحضار زمان مضى ثم الانتقال إلى زمن التحدث والقياس عليه، بغرض إيضاح الرؤية، مثل الحديث عن خروج الأجانب من القناة كما ورد ذكره في قصة قنال لا

١- حياة وكريمة، ص١٢: ١٤.

تعرف المحال، والحديث عن مبادرة (حياة كريمة) التي ورد ذكرها في قصة حياة وكريمة.

٦- لقد أبدعت الكاتبة في توظيف الإشاريات المكانية توظيفا متقنا الأمر الذي جعلها مهيمنة بشكل جلي في القصتين وفي تحديد الموقع الذي تم فيه التلفظ، وعملية التواصل. كما أنها لم تتوقف في توظيف الإشاريات المكانية عند نقل صورة مجملة له، إنما تجاوزت ذلك الأمر إلى حد التفصيل، مؤكدة تنوع هذه الإشاريات وتعددها في قصتيها (هيئة القناة، بيت منصور، أسوان، كوم أمبو، مطار أسوان، بيت كريمة، الفندق)

٧- كشفت الإشاريات الاجتماعية في القصتين عن نوع العلاقة بين المتخاطبين أثناء عملية التواصل، وهى علاقة يغلفها شيء من الود والمحبة والاحترام، وقد ساعد هذا الأمر على نجاح العملية التواصلية بين شخصيات القصة.

٨- تعددت أقسام الفعل الكلامي في القصتين ما بين (الإخباريات، التوجيهيات، التعبيريات، الالتزاميات)، وبالتالي تعددت الأغراض الإنجازية حسب مراد المتكلم والمقام الذي صدرت فيه، وقد كانت الالتزاميات والتوجيهيات قليلة مقارنة بالإخباريات والتعبيريات ذات الحضور القوي في القصتين.

٩- نادرا ما تحقق مبدأ التعاون بقواعده الأربعة (الكم، الكيف، المناسبة، الطريقة) في القصتين؛ حيث تم رصد كثير من الانتهاكات لأحد هذه القواعد.

١٠- وأخيرا، لم تنس الكاتبة وهى تعرض في قصتيها لمشكلة السفينة، ومبادرة حياة وكريمة أن تبث فيهما بعض القيم النبيلة كي يتشربها الأطفال بطريقة غير مباشرة، كعلاقة الصداقة القوية بين القبطان (الجد) وسائق الكراكة (عم عربي)، وتعاون كريمة وكامل مع حياة ومساعدتها واستضافتها في بيتهما، وقيمة الوفاء العظيمة التي ربطتها بذكر المهندس (باقي ذكي يوسف) وفكرته الرائدة في تحطيم خط بارليف، وقيمة الشكر لأصحاب الحقوق وملحمة تعويم السفينة، وذكر الشهيد البطل(أحمد علي رمضان) الذي ضحى بحياته من أجل تعويم السفينة.

المصادر والمراجع

أولًا: أعمال الكاتبة سماح أبوبكر عزت:

١. حياة وكريمة، رسوم: هيام صفوت، دار نهضة مصر، المهندسين، الجيزة، طبعة يناير ٢٠٢٢م.

٢. قنال لا تعرف المحال، رسوم: سالي سمير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٢١م.

ثانيًا: المراجع:

٣. أدب الأطفال، أهدافه وسماته، محمد حسن بريغش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٤. أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائطه)، هادي نعمان الهيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

٥. أدب الطفولة (أصوله ومفاهيمه، رؤى تراثية)، أحمد زلط، الشركة العربية للنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م.

٦. الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٧. استراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٨. استراتيجية المكان، دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، مصطفى الضبع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٨م.

٩. الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

١٠. الإشاريات المقامية في ديوان حاتم الطائي، دراسة تداولية، إبراهيم حمد مهاوش الدليمي، مجلة العلوم الإسلامية، الجامعة العراقية، العراق، العدد ١٥، ٢٠١٧م.

١١. الإطار المتكلمي في اللغويات المعاصرة، إسهام في استكشاف أصوله المعرفية، عبدالإله بوغابة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، إشراف: أحمد العلوي، الدار البيضاء، جامعة الحسن الثاني، ١٩٩١م.
١٢. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
١٣. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، طبعة ١٩٩٤م.
١٤. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ٢٠١٣م.
١٥. تداوليات الخطاب وضوابط الرواية والتلقي، محروس محمد إبراهيم علي، مجلة علوم اللغة، المجلد (١٠)، العدد (١)، ٢٠٠٧م.
١٦. التداولية، سحالية عبدالحكيم، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، العدد الخامس، الجزائر، ٢٠٠٩م.
١٧. التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ١٤٣٧هـ.
١٨. تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، حمادي مصطفى، مجلة الأثر، العدد ٢٦، سبتمبر ٢٠١٦م.
١٩. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، يوليو ٢٠٠٥م.
٢٠. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، يوليو ٢٠٠٣م.
٢١. التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٢٢. التكرير بين المثير والتأثير، عزالدين على السيد، عالم الكتب، بيروت، ط.٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
٢٣. خطاب الكتابة وكتابة الخطاب في رواية (مجنون الأمل)، عبدالرحمن طنكول، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبدالله، العدد٩، ١٩٨٧م.
٢٤. سلطة العنوان في قصيدة (الخيط المشدود في شجرة السرو) لنازك الملائكة، ثائر حسن جاسم العنزي، الباحث الإعلامي، العدد ٢٤- ٢٥، ٢٠١٤م.
٢٥. سورة الأنعام دراسة تداولية لأفعال الكلام والاقتضاء التخاطبي، نور وليد عبد صالح، فضاءات، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
٢٦. سياق الحال في الفعل الكلامي، مقاربة تداولية، سامية بن يامنة، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٤٣٢/ ١٤٣٣هـ، ٢٠١١/٢٠١٢م.
٢٧. السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد ٢٥، عدد ٣، يناير، مارس، ١٩٩٧م.
٢٨. شعر الأطفال التاريخ والفن، إيهاب عبدالسلام، دار الفاروق، الطبعة الأولى، الجيزة، ٢٠٠٨م.
٢٩. قصص الأطفال ومسرحهم، محمد حسن عبدالله، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١م.
٣٠. قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة: الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
٣١. القيم الإنسانية في أدب الأطفال، عبدالعاطي كيوان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٣٢. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.
٣٣. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
٣٤. لغة الخطاب السياسي (دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال)، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
٣٥. مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، الجزء الثالث، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٣٦. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، نعمان بوقرة، عالم الكتاب الحديث، اربد، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م.
٣٧. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.
٣٨. معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ف. عبدالرحيم، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
٣٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، المجلد الثالث، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
٤٠. المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
٤١. من إشكاليات العلاقة بين النحو والتداولية، نرجس باديس، حوليات الجامعة التونسية، ع٥٩، ٢٠١٤م.
٤٢. نسيج النص بحث في ما يكون الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٤٣. نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية، عبد النعيم خليل، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

44.“Canal”, Oxford English Dictionary, 16 Nov 2022, Oxford Learner’s Dictionaries,http://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/canal?q=canal